اللعب وأثره فى التربية

(١)

ربما عزب عن فكر كثير ممن يشرفون على تربية النشء وتهذيبهم أن يذكروا حين يفكرون فى عوامل التربية والتعليم عاملا من أعظمها أثرا، وأكبرها فائدة، وأجلها شأنا. وهو اللعب. وقد يخلو بعض الناس فيقسو فى الحكم على اللعب ويعده عدوا للتربية وعقبة فى سبيلها ولا يراه الا مضيعة للزمن. ومجلبة للشر. ويعتقد أن الهوة سحيقة والشقة بعيدة بينه وبين أساليب التربية وطرق التعليم الناجع فيجاهر بمعاداته ويصرح بأنه يجب أن ينبذ من بين عوامل التربية. وان تخلو منه ميادينها حتى يصفو الجو للمربين ويهدأ بالهم ويثمر غرسهم

ولو أنهم عاروا الموضوع جانبا من النظر والبحث لعلموا أن اللعب أنفع للتعليم. وخير عون للتربية فى جميع مراحلها وخاصة فى تربية صغار الاطفال. وعامل من أهم عوامل الاصلاح وأنجعها وأقواها أثرا.

فهو سبيل الفطرة فى التربية والتعليم. وميدان ينمو فيه العقل. ويقوى الجسم. ويرقى الخلق وبه ترهف الحواس. وتزداد المعلومات وتبلغ القوى النفسية درجة عظيمة من نموها. وتجد فيه الغرائز متسعا ترتع فيه وتلعب. وتمرح وتطرب. وتكافح وتتسابق جادة فى عملها ساعية وراء كمالها. فترسخ قدمها. ويقوى ساعدها. وهى فى كل هذا

تواجه كثيرا من حقائق الحياة ومظاهر الكون فتزداد تجاربها . هذا الى مافى اللعب من تنشيط العقل وترويح النفس وبعث السرور . فهو فى ظاهره سلوة وراحة وفى باطنه تربية وتهذيب وتعليم . ولولا هذا الميدان لخمدت القوى النفسية وذوت ، وانطفأت جذوتها ، ولوت عنانها . وقبعت فى مكان ضيق الانحاء

واللعب غريزة لا تنفصل عن الغرائز الاخرى . فان الغرائز المختلفة متعطشة للعمل والظهور فى آونة خاصة ولا يسع الانسان الا أن يطلق لها العنان ويفسح لها فى المجال فلا تجد الا اللعب سبيلا لنموها ونشاطها فغريزة اللعب اذن يمكن أن تعتبر فى أصلها مظهرا للغرائز المختلفة التى هى ميدان للحركة . وهذه الغرائز قوية فتدفع الشخص الى بذل الجهد وتجعله ميالا للعمل مالم يكن متعبا

وان المربى الماهر ليجد فى ميدان اللعب ضالته . ويستطيع أن يرقب النفس الانسانية فى جميع مظاهرها . ونزعاتها فيتمكن بذلك من التعليم الصحيح والتهذيب القويم . ولهذا كان امتن أساس يبنى عليه التعليم والتربية فى مدارس « رياض الاطفال » هو اللعب فى جميع اشكاله وأنواعه . على أن المجال واسع للاستفادة من اللعب فى جميع أنواع المدارس ومراحل التعليم . بل فى كل اعمالنا فى الحياة فلا يكاد يخلو مجتمع من بعض المسرات النفسية والالعاب . ولا ترى شعبا خلت حياته من أنواع كثيرة من اللعب يستعيد بها الافراد نشاطهم ويكسبون منها علما وعقلا وأدبا . وانى لنا بانسان لا تنزع نفسه الى

بعض أنواع اللعب يريح بها نفسه ويذكي قواده ؛ انى اخال ذلك بعيدا فانواع اللعب منبثة فى جميع مظاهر الحياة فى الافراد والمجتمعات

وانا لنرى فى اللعب صورة مما سيعمله الطفل والحيوان فى حياته المستقبلة . فهو كمقدمة للحياة العملية . فالقط مثلا اذا رميت له كره أو شيئا آخر عدا خلفه لملاعبته واقتناصه . والكلاب تلعب متقاتلة وتتصنع الفتك وإنشاب الانياب ونحو ذلك . وفى لعب الاطفال ترى صورة من حياة الانسان وأعماله . فاللعب اذن وسيلة يراد بها اعداد الحيوان للحياة . وبعض الباحثين يرى ان ما يتجلى فى اطوار اللعب المختلفة انما هو مثال تاريخى للمراحل التى قطعها الانسان حتى وصل الى حالته الحاضرة

اللعب والعمل

رب قائل يقول مالنا وللعب نلجأ اليه فى اعداد الطفل للحياة؟ ولماذا نركب مركبا قد يصرف الناشئ عن الحياة العملية واحتمال اعبائها؟ ولكى يرفع الستر الذي ربما حجب الحقيقة فى هذ الصدد يجدر بنا أن نعرف مقدار مابين اللعب والعمل من صلة أو تباين ليتضح السبيل ويزول الريب . ونستطيع أن ننظر الى اللعب والعمل من جهات ثلاث : خارجية ونفسية وعضوية

فاذا نظرنا اليهما من جهة النتيجة الخارجية لانكاد نتبين الفرق واضحا دقيقا وغاية مانستطيع ان نراه من الفرق ان نتيجة اللعب ليس

لها فى الغالب أثر مادى باق كبير الاهمية ، وان كانت النتيجة التهذيبية والتعليمة عظيمة ، اما نتيجة العمل فكثيرا ماتكون باقية الاثر فمعظم مانرى أو كله هو نتيجة العمل والسعى .

واذا نظرنا اليهما من الجهة النفسية نجد ان اللعب لايقصد فيه الى تحقيق غاية معينة ، وليس للغرائز والقوى النفسية فى حركتها وجهة الا السرور وهو الذى يقودها ويوجهها . فلا يحس الانسان الارغام أو الالزام الذى يشعر به حين يعمل . اما فى العمل فأمام العامل غاية يسعى للوصول اليها ، ويبذل جهده فى تحقيقها ، وهى التى تقوده وتضطره الى ان يختار للعمل وقتا ملائما وجهدا مناسبا وطريقة خاصة للتنفيذ ، من غير أن يكون للرغبة النفسية كبير اعتبار أو مراعاة

ومن الجهة العضوية (وظائف الاعضاء) نرى ان العمل فى الغالب يتطلب استخدام جزء أو أجزاء من الجسم أو المخ مدة من الزمن بطريقة ثابتة من غير تغيير كبير . أما اللعب فالتغيير فى استخدام أجزاء الجسم مستمر فيه والحركة شاملة على التعاقب ، لاعضاء كثيرة على حسب مايوافق الانسان ويلائم رغبته وميله ويبعث سروره ، ولانرى فى الغالب عضوا قد استسلم مرغما للارهاق واستنفاد الجهد من غير تغيير أو تنويع أو تنقل . ولهذا كان العمل أشق وأصعب من اللعب ولو كان مايبذل فيه من جهد قليلا

على انه مهما يكن من فرق بين اللعب والعمل فليست الصلة بينهما منقطعة فان مانقوم به من الاعمال يتضمن فى الغالب عناصر اللعب وعناصر العمل معا . حتى لقد يصبح من الصعب الفصل والتفرقة

والحكم الصريح فالطفل حين يحاول قص الاوراق أو بناء حصن أو نحو ذلك يقال انه يلعب ، والصانع حينما يقوم بشيء من ذلك يقال انه يعمل فالطفل ليس مضطرا لتنفيذ هذا العمل فى وقت معين ، ولا للاستمرار فيه الى أبعد مما يرضى سروره ويبعث شوقه ويحقق رغباته ، غير انه اذا ازدادت رغبته فى اللعب وشغف به قليه أحس دافعا يحتم عليه اتمام ما اختطه لنفسه . وهذا دليل على امتزاج اللعب ، الى حد ما ، بنوع من العمل

والعامل كذلك يحس انه مرغم بدافع من نفسه وحاجته أو حاجة المجتمع الذى يعيش فيه أن يشرع فى العمل ويسير فى اتمامه . ولكنه اذا ازداد سروره به وتملك الميل اليه فؤاده تحول عمله الى شغف لا يقل عن الشغف باللعب . وربما حمله ذلك على بلوغ حد من الاجادة والاتقان ما كان ليصل اليه من قبل

ولا ننسى ان الانسان فى لعبه يصادف كثيرا من الصعاب والمعضلات فيذللها ويخرج ظافرا بالوصول الى النتيجة المنشودة . ومن هذا ترى ان اللعب خير وسيلة يتعلم بها الانسان كيف يعمل ويؤدى الواجب ويتغلب على مايقابله من عقبات .

وبذلك يصبح اللعب مقدمة للحياة وميدانا لادخال عناصر العمل وكلما ازداد اللعب تشعبا واتسع نطاقه كثرت عناصر العمل فيه . فان الاستعداد للعب الكرة أو لحفلة أو لمسابقة أو نحو ذلك يتطلب عملا

كثيرا لابد من القيام به لاتمام اللعب . وكل ذلك يعمل من غير كبير مشقة على مسرح اللعب وخلف ستاره

ومن ذلك يتجلى لنا ان العمل يجب ان يكتسب صبغة سارة وجانبا ترتاح اليه النفس كي يصبح الانسان به مسروراً وعليه مقبلا فيزداد نفعه ويكثر ما يرجى منه من خير وهذه هي الحال فيمن يختارون من المهن مايلائم ميولهم ويوافق طباعهم فانك تراهم وقد شغل الواجب حواسهم وقلوبهم فيصبح عملهم كأنه لعب يرغبون فى السعى لاتمامه والاستمرار فيه من غير ملل أو ضجر .

الالعاب النظامية :

والالعاب النظامية هى وسط بين اللعب المحض والعمل ، فانها تتضمن توجيه الجهد نحو غاية مخصوصة وفقا لخطة مرسومة معلومة لاتبعا للميل الشخصى الحر من القيود ، وتستدعى تكراراً لعمل واحد بذاته . ولكنها بجانب ذلك تختار بحرية ، ولا يقصد منها اللاعب نتيجة خاصة سوى اللعب . وعلى ذلك فالذين يخصصون أنفسهم لنوع من اللعب ينالون من ورائه فائدة مالية ، كالفرق المأجورة للعب الكرة مثلا لايسمون لاعبين بل عمالا . وكذلك الحال ، لدرجة ما ، فيمن يهتمون بنوع من اللعب ولا وجهة لهم الا نيل الظفر واحراز الغلب

أنواع اللعب :

يمكن ان يقسم اللعب ، على حسب عدد من يشتركون فيه، قسمين (ا) فردى يلعب فيه الطفل وحده (ب) وجمعى يلعب فيه بالاشتراك هو وغيره ، والثانى أهم وأعم . وفى كلا القسمين نرى التدرج فى اللعب يبدأ من السرور بالحركة لذاتها ثم بشكلها ثم بنتيجتها

(ا) اللعب الفردى : ويمكن ان يقسم الى الانواع الآتية :

(١) العاب تتجلى فيها الدوافع النفسية الباعثة على الحركة . وهذا النوع هو أقرب الانواع الى السذاجة ، ولا يلاحظ فيه لاشكل الحركة ولا نتيجتها بل ذاتها ، فهو مظهر تتجلى فيه الغرائز مائجة نشيطة جادة فى السعى من غير ان تتبين لها وجهة خاصة أو غاية محدودة ، فترى الطفل يجرى ويقفز ويقذف بما يظفر به ويحرك عضلاته ويمرن كل قواه الجسمية ، وقد يصحب ذلك مظاهر عقلية فينشط خيال الطفل ويخترع المفاجآت التى يطرف بها غيره

(٢) العاب يتجلى فيها الذوق والشعور بالجمال الطبيعى . ويظهر هذا النوع حينما تزداد تجارب الطفل ويقوى على تذكر أعماله الماضية فتتحول العابه الى نوع تتجه فيه نفسه الى شكل الحركات التى يعملها ، فتراه قد أغرم بترداد الكلمات المألوفة وتكرار المتشابه منها والمتحد فى الوزن وماله نغمة موسيقية تملك سمعه وتستهوى فؤاده ، ويبدو ذلك فيما يترنم به فى وحدته من أصوات ، وما يبدى من مظاهر الخيال وما يخترع

من حكايات وحوادث ، وما يوجه من نقد لما يسمع من غيره .

(٣) العاب يتجلى فيها السرور بنتيجة الحركة . وفى هذا النوع نلمح مظاهر اللعب الجمعى ولكن على هيئة فردية فان الطفل يلعب منفردا ولا يشاركه الا نفسه وما يمثله له خياله ، ويتصور أعماله الماضية فيتخذ منها انداداً يسابقهم ، وتوحى اليه المظاهر الحسية التى تحيط به أعمالا وخواطر فيباريها ويرى فيها شريكا يلاعبه ويجاريه . ويساعده فى كل ذلك خياله الذى يقوى ويشحذ بما يسمع من حكايات أو أعمال يعجب بها وتصادف من نفسه هوى . وتمتزج الالعاب فى هذا النوع بعنصر من الالعاب التمثيلية .

(٤) العاب التكوين والتخريب : ويظهر هذا النوع حينما يبدو من الطفل السرور بنتيجة عمله . فتراه يوجه جهده الى تركيب الاشياء وفصلها ووصلها . ولا يفتر عن التدمير والتكسير . والتغيير والتبديل فيما تصل اليه يده . وتبدو هذه الاعمال فى أول أمرها كأنها العاب لا وجهة لها الا الحركة . ولكنها لا تلبث أن تمتزج بعامل جديد وهو غريزة حب الاطلاع . فيدمر الطفل الاشياء ويكونها رغبة فى معرفة كنهها والوقوف على اسرارها . أو حبا فى اظهار قوته ومقدرته . ثم يتدرج فتصبح غايته لا مجرد الميل الى الحركة ولا الرغبة فى التكوين . بل السرور والاعجاب بما ينتج من الاشياء . ويزداد تقدمه فى ذلك حتى يصبح اللعب وسيلة لغاية ينشدها . وسبيلا لنتيجة يسعى لتحقيقها .

الالعاب الجمعية

يمكن تقسيمها الى الانواع الآتية :

(١) العاب تتجلى فيها الحركة لذاتها : ومنبع السرور باللعب فى هذا النوع انما هو الاجتماع والاختلاط واشتراك الطفل هو وغيره . ونجد الغرائز الاجتماعية وما فى الطفل من الميل الفطرى للاختلاط ميدانا فسيحا للظهور فتزيد من قيمة هذا النوع من اللعب . وانك لترى أثره ظاهرا فى كثير من الالعاب الجمعية . فترى الطفل يجارى غيره فيما يعمل وينطق بما ينطق به من غير أن يتجه فكره الى النتيجة . ولا يشغل اللاعبين الا الحركة ذاتها وما فيها من سرور .

(٢) العاب ذات ارتباط بالذوق وبالفنون الجميلة : وفيها ترى الاطفال أو الكبار ينظمون لعبهم على أشكال هندسية كدوائر وصفوف ومربعات وغير ذلك ويمزجونه بالاناشيد والاغانى ونحوها . وان قيام جمع بهذه الالعاب لما يذلل صعابها ، ويساعد على تذكر دقائقها ، ويجعل الفرد قادرا على عمل كثير مما يعجزه القيام به منفردا . وتظهر فى هذا النوع بعض الغرائز الاجتماعية . ثم لا تلبث أن تظهر غريزة من أقوى الغرائز الاجتماعية شأنا وهى غريزة المنافسة فتزيد النشاط وتوقظ النفس

(٣) الالعاب التمثيلية : وفيها يحاكى الطفل أعمال غيره من الكبار والصغار . ولا يبغى من وراء ذلك غاية ولا يوجه فكره لنتيجة يتطلبها

وان حياة الابطال وذوى الاعمال العظيمة من رجال وسيدات لمما يذكى سرور الطفل ويثير شغفه فيميل الى معرفتها ومحاكاتها . ولهذا نرى الاطفال يميلون الى تمثيل مظاهر الحياة وابطالها ومجتمعاتها على قدر ما تصل اليه تجاربهم ومعلوماتهم . ولكن لايخطر ببالنا انهم يقصدون بهذا النوع التمثيلى مايقصد فى التمثيل على المسارح من سرور الناظرين فجل قصدهم انما هو تمثيل ما يجول بخواطرهم وما يوحى به خيالهم وتمليه ذاكرتهم من المشاهد والمناظر ولا يبغون الا سرورهم الخاص

(٤) الغاب المباراة الشخصية والجمعية : وفى الأولى يبارى الطفل غيره ولا وجهة له الا شخصه، وفى الثانية يندمج فى مجموع يعمل لمصلحته ويسعى لتفوقه وفوزه من غير أن يراعى فائدته الشخصية ، فترى الفرقة كشخص واحد تعمل متضامنة وينسى كل فرد شخصه ويعمل للمجموع وهذا النوع هو ميدان تظهر فيه كثير من الصفات كحب الحركة والميل الى النظام والاذعان للاوامر والمنافسة والتضامن والقيادة ، وفيه ايضا تظهر الانفعالات النفسية المختلفة فهو معرض لكثير من الغرائز والقوى والميول والنزعات

*
* *

أولست ترى فى هذه الانواع من اللعب صورة مصغرة من الحياة وميدانا ينمو فيه العقل والجسم والخلق ؟

(يتبع)

عبد الحميد حسن
المدرس بدار العلوم